الفصل الأول

مفهوم التوحد

مفهوم التوحد :

يعد مصطلح التوحدي (الذاتوي) Autism حديثاً من حيث الاكتشاف ومن حيث الدراسة ، وكان أول من وضع مفهوم الأوتيزم هو العالم " ليو كانر" عام ١٩٤٣ ، وهو طبيب أمراض عقلية متخصص في مجال الأطفال ، وقد وضع هذا التعريف نتيجة احتكاكه بـ (١١) طفلاً خلال فحصهم ووجد عندهم لامبالاة غريبة (indifference) نحو الناس ، بمعنى فقدان الاهتمام بالناس ، وقد لاحظ أن كل منهم ما إن دخل الحجرة حتى أسرع إلى مكان اللعب مع فقدان الاهتمام بالناس بالرغم من إدراكه لوجودهم ، وقد لاحظ أنهم يتجنبون إقامة أي نوع من التلاقي البصري وغير البصري كأنهم يعيشون في عالم منفصل دون محاولة الاتصال بالآخرين.

وكان "كانر" هو أول من اقترح اسم (التوحد الطفلي Infantile Autism) الذي مازال مستخدماً بصورة كبيرة حتى الآن ، كما ذكر هذا المصطلح في الدليل التشخيصي الإحصائي الثالث (DSM-III-R)

معدل انتشار التوحد بين الأطفال:

بالرغم من صعوبة الاكتشاف وعدم إدراك العديد من أولياء الأمور لاضطراب الطفل التوحدي Autism إلا أن معدل انتشار التوحد يقدر بحوإلى من ٣٠-٤٠ حالة توحدية لكل ١٠٠ ألف طفل . وهو منتشر بين الذكور أكثر من الإناث بنسبة ١:٤ .

في حين حدد المركز القومي للأطفال والشباب ذوي الإعاقات أن نسبة انتشار التوحد يترواح بين ٥: ١٥ حالة توحدية لكل ١٠٠٠٠ طفل .

أما مركز الأبحاث في جامعة كامبردج أصدر تقريراً بازدياد نسبة مرض التوحد حيث أصبحت ٧٥ حالة في كل ١٠,٠٠٠ من عمر ٥: ١١سنة وتعتبر هذه نسبة كبيرة عما كان معروف سابقاً .

بعض الأمراض المصاحبة للاضطراب التوحدي :

توجد بعض الأمراض التي قد تكون مصاحبة أحياناً لمرض التوحد ، وليست بصورة دائمة ، منها ما يلي :

١ - "متلازمة فراجايل" وسببه عيب في تركيبة الكروموزم x (fragile x syndrome) وله صفات معينة في الطفل مثل بروز الأذن ، كبر مقاس محيط الرأس – مرونة شديدة في المفاصل وأيضاً تخلف عقلي.

٢- مرض "فينايل كيتونيوريا" phenylketonuria (PKU) هو مرض وراثي سببه أن الحمض الأميني المسمى "فينايل النين" لايتم له metabolism في الجسم وذلك بسبب نقص أو عدم نشاط إنزيم معين في الكبد فيؤدي إلى تراكم هذا الحمض في الدم والمخ ، التشخيص يتم عن طريق فحص الدم .. وقد أصبح هذا الفحص اختبار روتيني لكل طفل يولد في الخارج حيث إن التشخيص المبكر يحمي الطفل من التخلف العقلي وذلك بإرشاد الأهل إلى الابتعاد عن الأطعمة التي تحتوي على حمض phenylalanine.

٣- مرض Tuberous sclerosis أيضاً مرض وراثي يوصف بوجود مشاكل في الجلد و بقع لونها داكن أو بقع أفتح من لون الجلد وتخلف عقلي .

تعريف التوحدية :

لقد تعددت تعريفات التوحدية (الذاتوية) Autism وذلك لتعدد الأسباب ولوجود غموض واضح حول هذه الإعاقة ، وفيما يلي أهم هذه التعريفات :

- تعريف علاء الدين إبراهيم : التوحدية Autism" هي واحدة من اضطرابات وسائل المخ وهي متلازمة وليست مرضاً، واضطرابات التوحدية تمثل مجموعة من التصرفات هي الخلل النوعي في العلاقات الاجتماعية المتبادلة ، وانحراف نمو اللغة عن مسارها الطبيعي، والنقص الشديد في النشاطات والاهتمامات .

- يعرف لونى Lonnie،S. التوحد Autism: بأنه خلل نوعي في الاتصال وفي المهارات الاجتماعية وفي مستوى الاهتمامات والأنشطة.

- ويعرفه عبد الرحيم بخيت بأنه: اضطراب أو زملة أعراض تظهر المظاهر المرضية فيه قبل سن ٣٠ شهراً وتتضمن هذه الاضطرابات ما يلي :

١-اضطراب في سرعة أو تتابع النمو.

٢-اضطراب في سرعة الاستجابات الحسية للمثيرات.

٣- اضطراب في الكلام واللغة والسعة المعرفية.

٤-اضطراب في التعلق أو الانتماء للناس والأحداث والموضوعات.

- ويعرفه جود جيف Good give بأنه: اضطراب عصبي يؤثر على وظائف المخ وخاصة في مناطق التفاعل الاجتماعي ومهارات الاتصال.

- بينما يعرفه عثمان لبيب فراج بأنه: أحد إعاقات النمو التي تتميز بقصور في الإدراك وتأخر أو توقف النمو ونزعة انطوائية انسحابية تعزل الطفل الذي يعاني منها عن الوسط المحيط ، بحيث يعيش منغلقاً على نفسه لا يكاد يحس بما حوله من أفراد أو أحداث أو ظواهر .

- ويعرفه محمد حسيب بأنه: اضطراب في الاتصال الوجداني، يفشل فيه الطفل في الحصول على المهارات والإدراكات اللازمة للتواصل مع البيئة ومع الآخرين من حوله .

- ويعرفه فتحي السيد عبد الرحيم بأنه: اضطراب من اضطرابات الطفولة يجعل صاحبه غير قادر على التواصل مع الآخرين ويميل إلى الانسحاب من المواقف الاجتماعية .

- تعريف المركز القومي للأطفال والشباب ذوي الإعاقات (NICHCY):

هو خلل نمائي (ارتقائي) واضح يؤثر على التواصل اللفظي وغير اللفظي، والتفاعل الاجتماعي، وغالباً ما يظهر قبل سن الثالثة ويؤثر بشكل سلبي على الأداء الدراسي للطفل ، وغالباً ما يتصل ببعض السمات الأخرى مثل الاندماج في الأنشطة التكرارية أو الحركات النمطية ، ومقاومة التغيير في البيئة أو الروتين اليومي.

تعريف مركز

[ERIC] EDUCATIONAL RESOURCES INFORMATION CENTER

التوحد (الذاتوية) " Autism: هو خلل ارتقائي يؤثر في قدرة الفرد على التواصل ، فهم اللغة ، اللعب، والتواصل مع الآخرين . وهو متلازمة سلوكية مما يعنى أن تحديده يرتكز على أشكال السلوك التي يصدرها الفرد " وقد أكد المركز أن الأوتيزم ليس مرضاً وإنما متلازمة ، و هو ليس معدياً ، ولا ينتقل من خلال التفاعل مع البيئة ، وأنه خلل يفترض وجوده منذ الميلاد ، ولكنه يظهر قبل سن الثالثة و يؤثر على وظائف المخ .

ومن خلال التعريفات السابقة يمكن تحديد التعريف التالي :

الطفل التوحدي Autism هو طفل لديه خلل أو اضطراب نمائي في بعض وظائف المخ يؤثر على اللغة وعلى الاتصال الاجتماعي.

الأعـراض المميزة للتوحد :

لقد صنف "كانر" عام ١٩٤٣ الأعراض الرئيسية للتوحد Autism ، والتي مازالت مستخدمة حتى الآن للتشخيص ، وهي كما يلي :

١- بداية ظهور المشكلة تكون في أول سنتين من العمر :

وقد امتدت هذه الفترة إلى سنتين ونصف.

٢- العزلة الانطوائية Autistic aloneness :

وهي عدم القدرة على تكوين علاقات وجدانية دافئة مع الناس والتي تتضح في المظاهر التالية :

لاينسجم هؤلاء الأطفال مع آبائهم بالابتسام أو الاحتضان، وبدلا من ذلك يبدو عليهم الضيق عند حملهم أو تقبيلهم ، ولا يستجيبون لآبائهم أكثر من استجابتهم للغرباء ، ولا يوجد فرق في سلوكهم تجاه الناس أو الاشياء الجامدة .

ومن السمات الواضحة لدى هؤلاء الأطفال تجنب أي اتصال بصري بالآخرين .

ونجد الطفل يتصرف كأنه وحيد منعزل لا يسمع الأصوات والضجيج من حوله ، وكما لو كان الناس من حوله غير موجودين ، على الرغم من ظهور بعض الاستجابات المفاجئة أحياناً .

يسمع الصوت الخافت ولا يسمع الصوت العالي.

يسمع الموسيقى ولا يسمع اسمه.

نظرته بعيدة كأنه ينظر إلى الأفق نظرة شاردة ولا يهتم بمن يجلس معه، بقدر مايلفت نظره أحد أعضاء الجسم كاليد أو الإصبع، فنراه ينشغل به، متناسياً أن من أمامه إنسان متكامل .

هناك رفض واضح للاتصال مع الآخرين، وإذا حاولنا إجباره على التفاعل يسقط في نوبة عصبية ويبدأ في الصياح.

نلاحظ عزلة وبرود عاطفي، فلا ضحك ولا بكاء، كأنه مجرد من العواطف والأحاسيس والانفعالات.

٣-اضطراب الكلام :

وهو أحد أهم الأعراض، فالحديث ربما يتطور فيما بعد أو لا يظهر أبداً، وعادة ما يتطور الكلام بطريقة طبيعية حتى سن الثانية ، ثم يختفي جزئيًّا أو كليًّا بعد ذلك لفترة ويمكن مع العلاج السلوكي وبرامج التخاطب أن يعود مرة أخرى تدريجيًّا .

هذا الخلل في الكلام Lack of speech هو تعبير عن خلل إدراكي شديد، مع تأثر في التواصل اللفظي وغير اللفظي أيضا، وهو يظهر قدرة ضعيفة على التخيل واللعب الإبداعي وهذا ما يجعل الطفل غير مرغوب من الأطفال الآخرين لأنه لا ينفعل معهم في اللعب وخاصة اللعب التخيلي.

وعندما يكبر أطفال التوحد Autism ، فإن الكثير منهم بالرغم من تطور الكلام لديهم وتمكنهم من التواصل الجزئي مع المجتمع الخارجي إلا أنه تبقى لديهم بعض الاختلالات البسيطة عادة ، مثل عدم النطق الصحيح والتكرار غير المناسب لكلمات الآخرين .

وقد نجد الطفل ينغمس أحياناً في سلوك تكراري بصورة مستمرة لوقت طويل ، مثل تكرار مقطع من أغنية بدون وعي منه، وفي بعض الحالات يستحيل عليه استعمال كلمة " أنا" للتحدث عن نفسه فيقول: " أنت " أو " هو" . وهذا يعكس استحالة الإحساس بنفسه كشخص .

وقد ركز "كانر" على بعض الصفات التي تميز الطفل التوحدي ومنها :

أ – ذكاء هؤلاء الأطفال: وهذا من جهة، فهم أذكياء بالنسبة للأطفال ذوي الإعاقات العقلية، أي إن لديهم القدرة والإمكانيات الفكرية على الفهم وربط الجمل ببعضها، أي إن مشكلاتهم هي التواصل وليس الذكاء.

ب – فقر التعبير لديهم، أو عدم اختيار التعبيرات المناسبة للموقف.

ج – بعض الأمور الأخرى مثل :

- التكوين الجسدى سوي.

- الصحة جيدة .

- المظهر جميل .

نسبة الحدوث أكبر في الذكور بنسبة ثلثين إلى ثلث في الإناث.

٤- الميل الاستحواذى للذاتية : Obsessive desire for sameness

وهو سلوك متكرر يطبقه الطفل بشكل نمطي، مع وجود دليل على القلق عند أي تغير في البيئة.

مثال:

يفضل الطفل التوحدي Autism نفس الطعام بشكل متكرر، ويصر على ارتداء نفس الملابس ، أو الاندماج في ألعاب متكررة ، وهم عادة مولعون بالألعاب اللولبية أو الدوارة .

٥- السلوك الحركي الشاذ :

غالبا مانجد الطفل التوحدي Autism يندمج في سلوك حركي شاذ مثل الدوران في دوائر حول نقطة واحدة، أو العبث بأصابعه بشكل متكرر ، أو التصفيق بيديه، أو التأرجح في وقفته ، بينما يوجد منهم أطفال لايختلفون في السلوك الحركي عن الأطفال الطبيعيين، والسلوك الحركي الشاذ يعبر عن حركات يميل فيها الطفل إلى التكرار كأنه تحت تأثير التنويم المغناطيسي.

وقد حدد " كانر " بعض الأعراض الأخرى بخلاف الأعراض الخمسة الرئيسية ، وهي :

١- أن الأطفال التوحديين قد يظهرون الخوف الشديد أو الغضب فجأة بدون سبب ظاهر.

٢ – قد يصبحون زائدي النشاط ومشتتين .

٣– قد ينامون بكثرة .

٤ – قد يلوثون أو يبللون أنفسهم في النوم واليقظة.

٥ – حوالي ٢٥٪ من الأطفال التوحديين قد يصابون بنوبات مرضية أو إغماء عند سن المراهقة .

زيادة نشاط بعض الحواس :

قد يتميز طفل التوحد Autism بالنشاط الزائد لبعض الحواس، مثل زيادة حاسة السمع أو الشم أو التذوق أو اللمس أو الرؤيا.

١- زيادة حاسة السمع : Hyper-Auditory

هؤلاء الأطفال تبدو لديهم الأصوات أكثر ارتفاعاً وضجيجاً أكثر مما يبدو لنا.

وبسبب هذه الزيادة في حاسة السمع، والتي قد تبدو على أنها حساسية الأصوات العالية ، فالطفل يعيش في وسط يراه محيرا ومهددًا أحيانا بالنسبة له، إنه ينزعج من الأصوات التي نكلم بها عادة الأطفال الآخرين فهو لايسمع أصواتنا فقط، وإنما أيضاً صوت الأزيز المنبعث من مصباح الفلورسنت المعلق فوقه ، والحوار الذي يدور في الغرفة المجاورة.

كلما زادت حركة المرور في الخارج، وكلما زادت هذه الأصوات زادت الاضطرابات لديه بأشكال مختلفة.

وهذا ما لاحظته من بعض الحالات التي قمت معها بعلاج سلوكي. حيث كان أحدهم –وهو طفل توحدي– أثناء جلسات العلاج يضع يديه على أذنيه ويصرخ دون وجود سبب. وبالفحص الطبي عن أذنيه لم يتضح وجود أي التهاب أو خلل بيولوجي. وبالتالي كان تفسير ذلك أن الطفل يسمع لأصوات قد يعتقدها المعالج طبيعية أو غير مؤثرة أو لا يحسها الآخرون، وهي في نفس الوقت تعد بالنسبة له

ضجيج شديد يريد الطفل أن يتخلص منه ولا يستطيع ، فيضع يده فوق أذنيه لتخفيف هذه الآلام.

٢- الرؤية الزائدة :

Hypo-Central vision/Hyper –peripheral vision

إن مجال الرؤية لديهم يكون إما عالي (زائد) أو مشوش ، وهؤلاء الأطفال يميلون إلى عدم النظر بصورة مباشرة إلى الأشياء ، ولا يقومون بأي اتصال بصري مع شخص آخر ، وهم يتجهون لالتقاط الأشياء بدون النظر إليها جيدا ، وهم ينبهرون بالأضواء والانعكاسات ومتابعة الأشياء اللولبية الدوارة، وأحيانا تجد بعضهم يميل إلى ألوان معينة أو ألعاب محددة ولا يجذب انتباهه الأشياء الأخرى .

وهذا ما وجدته مع إحدى الحالات حيث كان يحب اللعب بسيارة محددة و لا ينظر حوله للألعاب الأخرى، ولأن ذاكرته طبيعية كان عندما يدخل في غرفة العلاج يتذكرني ويبتسم أحيانا ويذهب مسرعا إلى مكان اللعبة ويمسكها ويحاول أن يلعب بها بصورة نمطية وإذا حاولت التدخل في بداية الأمر ومنع هذه اللعبة عنه ينفعل ويتوتر ويظهر الضيق .

٣-حاسة اللمس الزائدة -الإحساس الزائد بالضغط والحرارة :

عادة مايكون هؤلاء الأطفال ذوي حاسة لمس قوية وزائدة . فقد نجد أن العديد من الأشياء تسبب نوعاً من الألم او المتعة للطفل عند لمسها ، وقد نجد نفس الطفل يستمتع بالشعور بالضغط على بعض الأشياء والشعور الناتج عن هذا الضغط ، وهذه الحساسية للمس قد تعوق مثل هؤلاء الأطفال من تعلم الكثير من المهارات اليدوية .

٤- حاسة التذوق الزائدة وحاسة الشم الزائدة: Hypo/Taste and Odor

العديد من الأطفال التوحديين قد يستجيبون بشدة للطعم (التذوق) والروائح، وقد لايبدو عليهم الوعي بطعم العديد من الأشياء أو الأكلات أو الروائح في بيئاتهم.

بعض هؤلاء الأطفال قد يأكلون أي شيء وكل شيء بما في ذلك المواد الضارة، بينما بعضهم قد يأكل بعض الأطعمة ذات النكهات القوية بما يكفي لأن يتذوقها،

وآخرين قد يحبون طعامًا مُعيّنًا، ولا يقبلون على أي طعام آخر مالم يكن له نفس الطعم.

* * *